قصة إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة الأنعام وما فيها من مباحث النبوة

للدكتورة / سارة بنت فراج بن علي العقلاء [1]

فكرة البحث ونتائجه : شملت الآيات الواردة في سورة الأنعام والتي تذكر قصة إبراهيم - عليه السلام - مباحث كثيرة متعلقة بموضوع النبوات و لم تفرد ببحث مستقل، لذا عزمت الباحثة على بحث هذا الموضوع وكان من أهم النتائج :

أن النبوة من أعظم ما من الله تعالى به على خلقه وأن قول المعتزلة والفلاسفة في إيجابها غير صحيح .

أن إبراهيم - عليه السلام - من أعظم الأنبياء وممن أجمعت الأمم على قبوله، لذا تكررت قصته كثيرا في القرآن الكريم، وكان قومه ممن يعظم الكواكب، لذا ناظرهم فيها، وكان قوله: (هذا ربي) على سبيل المناظرة ، وهذا هو الراجح من أقوال العلماء ، ولما أبانه - عليه السلام - من التوحيد آتاه الله أجره في الدنيا وفي الآخرة ،

---

(١) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات. الأقسام الأدبية . بالرياض .

وكـان أعظم ما آتاه في الدنيا أن كان الأنبياء من ذريته ، ذكر منهم في هـذه السورة : خمسة عشر نبيا من ذريته إضافة لذكر نوح ولوط عليهما السلام ، وهؤلاء الأنبياء المذكورين قيل فيهم إنهم أولو العزم من الرسل ، إلا أن القول المشهور أن أولي العزم هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وأما عدد الأنبياء فلم يثبت في حديث صحيح، لذا كان من الأسلم التوقف في ذلك والإيمان إجمالا أن الله قد بعث في كل أمة رسولا ، يراد بالمسلك النوعي : إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق إثبات نبوة الأنبياء قبله ثم يكون إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ظاهراً؛ لأن ما جاء به أكمل ، وجاءت الإشارة إلى عموم دعوته صلى الله عليه وسلم في الآيات، وكان هذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم وخالف في هذا أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة على نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فإن فضل إبراهيم خليل الرحمن ـ عليه السلام – جاء في مواضع كثيرة في الكتاب والسنة ، ذلك أن هذا النبي الكريم ممن أجمعت اليهود والنصارى والمسلمون بل ومشركو العرب على الانتساب إليه ، وذكر الله تعالى في كتابه أن أولى الناس به هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾ (١)

وعلى تعدد ذكر قصته ـ عليه السلام ـ إلا أن تفصيل مناظرته لقومه ورد في سورة الأنعام ، وتعداد للأنبياء من ذريته ، ثم إشارة لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لذلك رغبت الباحثة في البحث فيها إضافة إلى أنها لم تفرد ببحث مستقل – حسب علم الباحثة – وكان عنوان هذا البحث : (قصة إبراهيم – عليه السلام – الواردة في سورة الأنعام وما فيها من مباحث النبوة).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

– ورود تفصيل مناظرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه في هذه الآيات ، واختلاف المفسرين فيها .

– ذكر الله تعالى فيها أسماء ثمانية عشر نبيا على نسق واحد .

– إثبات النبوة عن طريق المسلك النوعي في آياتها .

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨ .

-كون الموضوع متعلقاً بالنبوات التي لا غنى للبشرية عنها ـ قديماً وحديثاً ـ

الهدف من البحث :

ذكر قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ الواردة في سورة الأنعام وبيان العبر المستفادة منها لا سيما ما يتعلق منها بالنبوات .

منهج البحث :

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي - إن شاء الله - .

خطوات البحث :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ، تشمل المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الباحثة فيه ، وأما التمهيد ففي حكم إرسال الرسل .

والمبحث الأول بعنوان : مناظرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه .

والمبحث الثاني : أسماء الأنبياء الوارد ذكرهم وأولي العزم منهم .

والمبحث الثالث : إثبات النبوة بالمسلك النوعي كما ورد في الآيات .

والمبحث الرابع : عموم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم والرد على المخالفين .

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج ، ثم فهرس المصادر والمراجع .

هذا وإذ أتقدم بهذا البحث فإني أعتذر عما به من قصور ونقص وأشكر سلفاً كل من يسهم في تصحيحه فجزاه الله عني خير الجزاء .

تمهيد

حكم إرسال الرسل :

الخلاف في حكم إرسال الرسل بين المعتزلة [١] والفلاسفة[٢] من جهة وبين أهل السنة والأشاعرة[٣] من جهة أخرى .

فيذهب المعتزلة إلى وجوب بعثة الرسل بناء على قاعدة وجوب مراعاة الأصلح فمن أقوالهم : (إنه تعالى إذا علم صلاحنا في بعثة شخص واحد بعينه وجب أن يبعثه بعينه ولا يعدل إلى غيره ،

---

(١) هم القائلون بالأصول الخمسة ، التوحيد (يقصدون به نفي الصفات) العدل (يقصدون به نفي القدر) الوعد والوعيد (تكفير مرتكب الكبيرة) المنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سمو المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري ، ينظر في مذهبهم : شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، الملل والنحل ١ /٤٣ ، الانتصار ص ١٢٦ ، مقالات الإسلاميين ج٢/٢٣٥، الفرق بين الفرق ٧٨ .

(٢) ويراد بهم هنا الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، ذلك أن فلاسفة اليونان القدماء لا يؤمنون بالنبوة، أما هؤلاء وعلى رأسهم الفارابي وابن سيناء زعموا التوفيق بين الفلسفة والدين، فأتوا بنظرية النبوة التي زعموها وتقرباً للمسلمين. ينظر في الفلسفة الإسلامية. إبراهيم مدكور ص ٦٩.

(٣) أصحاب أبي الحسن الأشعري وهم الأشاعرة الكلابية، ذلك أن الأشعري عاد إلى مذهب السلف جملة، من أهم ما تميزوابه إثبات سبع صفات فقط، وفي الإيمان كانوا مرجئة وفي القدر جبرية متوسطة يقولون بالكسب، من أكبر رجال مدرستهم : الباقلاني، أبو إسحاق الاسفرائيبي، ابن فورك، أبو المعالي الجويني، الفخر الرازي، ينظر في مذهبهم : التمهيد للباقلاني، تأسيس التقديس للرازي، الشامل والبرهان للجويني، السبعينية لابن تيميه، نقض تأسيس الجهمية له .

وإذا علم أن صلاحنا في بعثة شخصين وجب بعثتهما لا محالة ولا يجوز له الإخلال بها ،وإذا علم أن صلاحنا في بعثة جماعة وجب أن يبعث الكل) [١].

وعللوا ذلك بأن النظام المؤدي إلى صلاح النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى [٢].

وقال بعضهم : إذا علم الله من أمته أنهم يؤمنون وجب عليه إرسال النبي ،وإلا لم يجب الإرسال بل حسن [٣].

وذهبت الفلاسفة إلى إيجاب النبوة عقلاً على الله (لأن النظام الأكمل الذي تقتضيه العناية الأولية لا يتم بدون وجود النبي الواضع لقوانين العدل) [٤].

ذلك أن من عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الأنبياء من جنس نواميسهم وأن المقصود بها مصلحة الدنيا [٥].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص ٥٧٥ ، المغني ، القاضي عبد الجبار ١٥ /٢٨.

(٢) شرح جوهرة التوحيد ، البيجوري ص ١١٩ ، ينظر : شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٥٦٣.

(٣) المواقف ، الأيجي ، ص ٣٤٢ ، شرح المقاصد للتفتازاني ٥ /١٩ .

(٤) المواقف ، الأيجي، ص ٣٤٢ ، شرح المقاصد ٧/٥ ينظر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، الفارابي / ص ١١.

(٥) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ١٧/٣٣٠ .

والصحيح الذي ذهب إليه أهل السنة وكذا الأشاعرة :أن النبوة نعمة من الله تعالى ومنَّة منه تفضل بها على خلقه ؛كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] .[2]

وأما مسألة إيجاب شيء على الله ووضع شريعة لله بالعقل والتسوية بين الله وبين عباده فيما يحسن منهم ويقبح ـ كما ذهب إليه المعتزلة ـ فهو أمر ممتنع ومنتفٍ من وجوه عديدة أشار إليها ابن القيم، منها :

أن الله تعالى كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، فكذلك ليس كمثله شيء في أفعاله ؛ فلا تقاس أفعاله على أفعال خلقه فيحسن منه ما يحسن منهم ويقبح منه ما يقبح منهم ؛ ذلك أن كثيراً من الأفعال تقبح منا وهي حسنة منه تعالى .

كذلك الإيجاب والتحريم يقتضي موجباً آمراً ناهياً ،وهو طلب للفعل أو الترك على وجه الاستعلاء ، وهذا محال في حق الواحد القهار [3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤ .

(٢) ينظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٩٩/١٩ ، الجواب الصحيح ابن تيمية ٨/١، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١١٨، لوامع الأنوار، السفاريني ٢٥٨/٢ ومن كتب الأشاعرة : تمهيد الأوائل الباقلاني، ص ١٥٣، غاية المرام للأمدي، ٣١٧،٣١٨، اللمع، الجويني ص ١٢٣، شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، ص ١١٩، المواقف، ٣٤٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ٥٢/٢ .

ثم ذكر ثمانية عشر لازماً فاسداً على قاعدة الصلاح والأصلح، منها ما ألزمه أبو الحسن الأشعري[١] للجبائي[٢] وقد سأله عن ثلاثة إخوة أمات الله أحدهم صغيراً وأحيا الآخرين فاختار أحدهما الإيمان والآخر الكفر، فرفع درجة المؤمن البالغ على أخيه الصغير في الجنة لعمله ، فقال أخوه : يا رب لم لا تبلغني منزلة أخي فقال : إنه عاش وعمل أعمالاً استحق بها هذه المنزلة . فقال : يا رب فهلا أحييتني حتى أعمل مثل عمله فقال : كان الأصلح في حقك أن توفيتك صغيراً لأني علمت أنك إن بلغت اخترت الكفر فكان الأصلح في حقك أن أمتك صغيراً ، فنادى أخوهما الثالث من أطباق النار: يا رب فهلا عملت معي هذا الأصلح واخترمتني صغيراً كما عملت مع أخي واخترمته صغيراً،فأسكت الجبائي و لم يجبه بشيء .

ثم كان آخر إلزام ذكره ابن القيم : أن الإيجاب والتحريم

---

(١) إمام المتكلمين ،أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ،ولد سنة ستين ومائتين وقيل بل سنة سبعين ، كان معتزليا ثم تاب إلى الله منه ، وكان ذا ذكاء مفرط، مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة،ينظر : تبيين كذب المفتري، تاريخ بغداد ، ٣٤٦/١١ ،سير أعلام النبلاء ، ٨٥/١٥

(٢) محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ طائفة الاعتزال في زمانه ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين. وكان على بدعته متوسعاً في العلم سيال الذهن ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وخلفه ابنه أبو هاشم الجبائي ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٤ /١٨٣ ، البداية والنهاية ١١ /١٣٤ ، طبقات المعتزلة ، ابن المرتضى ٨٠ .

يقتضي سؤال الموجب المحرم لمن أوجب عليه وحرم : هل فعل مقتضى ذلك أم لا ؟ وهذا محال في حق من لا يسئل عما يفعل،وإنما يعقل في حق المخلوقين وأنهم يُسألون [١].

وقابل المعتزلة الأشاعرة في هذه المسألة فقالوا : لا يجب عليه شيء ويجوز عليه كل شيء [٢].

وتوسط أهل السنة فقالوا : إن الله سبحانه أخبر عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه ؛ كما قال تعالى في سورة الأنعام :﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٣].

فلا يمتنع في حق الرب تعالى الذي ليس فوقه آمر ولا ناه، أن يكون طالباً من نفسه، فيكتب على نفسه ويحق على نفسه ويحرم على نفسه،وكتابة ما كتبه على نفسه وإحقاقه ما حقه عليها متضمن لإرادته ذلك ومحبته له ورضاه به وأنه لابد أن يفعله ،وتحريمه ما حرمه على نفسه متضمن لبغضه لذلك وكراهته للفعل وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء [٤].

---

(١) ينظر مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ٢ /٥٢،٥٥ .

(٢) ينظر : الإرشاد ، الجويني ، ٢٣٤،٢٣٦ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٤ .

(٤) ينظر مفتاح دار السعادة ٢/١١٠ –١١١.

المبحث الأول :مناظرة إبراهيم لقومه .

لما كان إبراهيم عليه السلام ممن أجمعت الملل والطوائف على الاعتراف بفضله لأن أكثرهم من نسله؛ كاليهود والنصارى والمشركين من العرب والمسلمين، ولما يعلمونه من إخلاصه لله تعالى واحتمال الأذى فيه؛ لذلك كثيراً ما احتج عليهم بأحوال إبراهيم عليه السلام[١] وفي سورة الأنعام بيان لمحاجَّة إبراهيم عليه السلام ومراجعته لقومه في باطل ما هم عليه مقيمين من عبادة الأوثان وابتدأها بقوله :﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[٢] .

فأنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه التأله لصنم يُعبد من دون الله، وهو التمثال يصنع على صورة وذكر له أن هذا الفعل فعل التائهين الذي لا يهتدون أين يسلكون؛ بل هم في حيرة وجهل وضلال بيِّن واضح لكل ذي عقل سليم حيث عبدوا من لا يستحق من العبادة شيئاً ،وتركوا عبادة خالقهم ورازقهم ومدبرهم[٣] .

وقد اختلف في اسم أبي إبراهيم ؛وهل كان قوله (آزر) اسم له أم صفة، على أقوال :

---

(١) ينظر التفسير الكبير ، الرازي ، ١٣ /٣٤ ، نظم الدرر ،البقاعي ، ٦٥٧/٢

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٤ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ١٥٥/٢، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٤٢٣/٢ .

الأول : أنه اسم أبيه وهذا قول السدي [١] ومحمد بن إسحاق[٢] حيث قال : آزر أبو إبراهيم وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلاً من أهل كوثي من قرية بالسواد سواد الكوفة[٣].[٤]

القول الثاني : أن اسم أبيه تارح وهو الوارد في التوراة [٥] قال الفراء [٦] (وقد أجمع أهل النسب على أنه ابن تارح)[٧].

وأما (آزر)فقالوا : إما أنه لقب له، أو أنه اسم صنم ، فسمي به

---

(١) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد ، من موالي قريش وهو غير السدي الصغير أحد المتروكين بل كان مقبول الحديث ، مات سنة سبع وعشرين ومائة ، ينظر طبقات ابن سعد ٦ /٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٤

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة النبوية كان جده من سبي عين التمر ولد سنة ثمانين وهو أول من دون العلم بالمدينة ومات سنة اثنين أو ثلاث وخمسين ومائة . ينظر طبقات ابن سعد ٣٢١/٧، سير أعلام النبلاء ٣٣/٧

(٣) بالضم هي الحصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ومصرت في عهد عمر، معجم البلدان ٤/٤٩١ .

(٤) تفسير الطبري ١١/٤٦٥ .

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر، ٢٧ .

(٦) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي المفسر كان يلقب بمحيي السنة وكان سيداً إماماً علامة زاهداً توفي بمرو الروذ سنة ست عشرة وخمسمائة ينظر : وفيات الأعيان ٢ /١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ١٩ /٤٣٩ ، طبقات المفسرين ١٢-١٣.

(٧) معاني القرآن، الفراء ١/٣٤٠ .

لـلزومه عـبادته وخدمـته إيـاه، أو أنه سب وعيب بكلامهم ومعناه : معـوج فعابـه بـزيغه واعوجاجه عن الحق ، وقال الضحاك[١] : معنى آزر الشيخ الهرم بالفارسية .

وقيل : هي صفة ذم بلغتهم كأنه قال : يا مخطئ[٢] .

قـال الطـبري[٣]: (فـأولى القولين بالصواب من قال : هو اسم أبيـه؛ لأن الله تعـالى ذكـره أخـبر أنه أبوه ،وهو المحفوظ من قول أهل العـلم ،دون القـول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت. فإن قال قائل : فـإن أهـل الأنسـاب إنمـا ينسبون إبراهيم إلى تارح فكيف يكون آزر اسمـاً له ، والمعروف به من الاسم تارح ؟ قيل له: غير محال أن يكون كـان لـه اسمان كما لكثير من الناس في دهرنا هذا ،وكان ذلك فيما

(١) أبـو محمـد وقيـل أبـو القاسـم الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير ، كـان مـن أوعية العلم ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، كان يعلم الصبيان حسـبة ، مـات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة ، ينظر : سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤ ، البداية والنهاية ، ٩ /٢٣١ .

(٢) يـنظر : تفسـير الطـبري ٤٦٦/١١ ، التفسـير الكـبير ، الـرازي ٣٧/١٣ ، الكشـاف للزمخشـري ،٢٥/٢ ، زاد المسـير ،ابـن الجـوزي ٧٠/٣ ، تفسـير الجلالـين ١١٢، تفسـير ابـن كـثير ١٥٥/٢ ، تفسير أبي السعود ١٥١/٢ ، تفسير البيضاوي ٨٤/٤ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٣٣/٢.

(٣) محمـد بـن جريـر بـن يزيد أبو جعفر الطبري ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، كـان مـن كـبار أئمـة الاجـتهاد لـه كـتاب في الـتاريخ اسمـه (أخـبار الأمـم وتواريخهـم وكذلك له تهذيب الآثار توفي سنة عشر وثلاثمائة ينظر في ترجمته: تـاريخ بغـداد ١٦٢/٢-١٦٩، طـبقات الشافعية – السبكي ١٢٠/٣-١٢٨، البداية والنهاية ١٥٦/١١ .

مضى لكثير منهم ، وجائز أن يكون لقباً يلقب به) [1] .

ووافقه القرطبي[2]، ورد على من ادعى إجماع واتفاق أهل النسب على أن اسم والد إبراهيم تارح فقال:(ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق فقد قال ابن إسحاق والكلبي[3] والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم وهو تارح مثل إسرائيل ويعقوب.قلت :فيكون له اسمان)[4] .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [5] .

أي وكما وفقناه وأريناه البصيرة في دينه والحق، نبيِّن له وجه الدلالة في نظره إلى ملكوت السماوات والأرض، ويرى ببصيرته ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة على وحدانية الله عز وجل في ملكه

---

(١) تفسير الطبري، ٤٦٩/١١ .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي بها من كتبه : الجامع لأحكام القرآن والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى والتذكرة توفي، سنة إحدى وسبعين وستمائة من الهجرة، ينظر : نفح الطيب ، التلمساني ٢ / ٢١٠ ، الأعلام ، الزركلي ٦ /٢١٧ .

(٣) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر النسابة ،كان متروك الحديث لتشيعه ، توفي، سنة ست وأربعين ومائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٢٤٩/٦ ،ميزان الاعتدال ، الذهبي ، ٥٥٦/٣ ،سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٢٤٨/٦ .

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/٧ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ٧٥ .

وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، ليكون عالماً موقناً فإنه بحسب قيام الأدلة يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب، وفي قوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ تنبيه على أنه صلى الله عليه وسلم وصل في معرفة ربه إلى مرتبة الإيقان بالاستدلال وإقامة البرهان بحيث قدر على إلزامهم[١] كما سيأتي .

والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه: الملك العظيم والسلطان القاهر ، وقيل: ملكوتها :عجائبها وبدائعها ؛ روي أنه كشف له عليه السلام عن السماوات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين حتى جلّى له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال الله : إني أرحم بعبادي منك فرده الله كما كان قبل ذلك .

قال ابن كثير[٢] في هذه المرويات : إنه لا تصح أسانيدها[٣].

وقيل: آياتهما ، وقيل: ملكوت السماوات: الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال والأشجار والبحار ، والإراءة لا تقتصر على مجرد الإبصار والمشاهدة ؛بل إطلاعه عليه السلام على

---

(١) حاشية الشهاب ، ٨٥/٤ .

(٢) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ولد بقرية من أعمال بصرى سنة إحدى وسبعمائة ثم انتقل إلى دمشق، برع في الفقه والتفسير والنحو ، ومن جملة مشايخه، شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، ينظر : الدرر الكامنة ٣٩٩/١ ، البدر الطالع ١ /١٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٦/٢.

حقائقها ودلالتها على وحدانية الله[1] .

وكان قوم إبراهيم ممن يعبدون الكواكب ويعتقدون إلهية النجوم في السماء ويقال لهم: الكلدانيون ، أو الكشدانيون ،أو الصابئة المشركة ؛فكانوا يعبدون الكواكب ويدعونها ويجعلون لكل كوكب صنماً من المعادن المنسوبة إليه ؛ كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا إليها، فالصنم عندهم رمز للكواكب ،فإذا أرادوا التقرب إلى ذلك الكوكب عبدوا ذلك الصنم [2] .

فأنكر إبراهيم عليه السلام أولاً عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر وذلك في خطابه لأبيه ،ثم أبطل منشأها وما نسبت إليه من الكواكب وبيَّن عدم استحقاقها لذلك أيضاً[3] وذلك عن طريق المناظرة والاستدلال ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[4]. أي لما غطاه الليل وستره رأى نجماً مضيئاً، قال بعضهم: إنه الزهرة وقيل : بل المشتري ؛ فقال على سبيل المناظرة (هذا ربي): قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، وقيل: قاله على وجه النظر الاستدلال، وكان ذلك في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه .

---

(١) تفسير أبي السعود ٣ /١٥١ .

(٢) ينظر : الملل والنحل ، الشهرستاني ٢/٥١ . ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٥/٥٤٧.، حاشية الشهاب ٤/٨٥، نظم الدرر ، البقاعي ٢/٦٥٧.

(٣) حاشية الشهاب ٤/٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٦ .

وقيل إنما معنى الكلام : أهذا ربي ؟ على وجه الإنكار والتوبيخ ، أي ليس هذا ربي. والصحيح الذي عليه أكثر المفسرين أنه قال ذلك (على وجه الاعتبار والاستدلال لا على وجه الإخبار ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام على ذلك بل ذكره بالمدح والتعظيم وأنه أراه ذلك كي يكون من الموقنين) [١] .

قال القاضي عياض:[٢](وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً لقولهم ومستدلاً عليهم)[٣].

﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ أي فلما غاب وذهب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ قال قتادة [٤] : علم أن ربه دائم لا يزول [٥] .

---

(١) عصمة الأنبياء، الفخر الرازي ص ٣٤ ، الملل والنحل ، الشهرستاني ٥٣/٢. وينظر فيما سبق : تفسير الطبري ١١ /٤٨٣،٤٧٨ ، الكشاف، الزمخشري ٢٩/٢ ، تفسير القرطبي ٢٥/٧ ، تفسير البيضاوي ٨٤/٤ ، تفسير ابن كثير ١٥٥/٢ ، تفسير أبي السعود ١٥٣/٣ ، حاشية الشهاب ٨٥/٤ .

(٢) عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة، كان إماماً في علوم كثيرة ، من مصنفاته : الشفا وترتيب المدارك في الفقه وكتاب العقيدة وغيرها، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ينظر وفيات الأعيان ٣ /٤٨٣، سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠، البداية والنهاية ١٢ /٢٤١ .

(٣) الشفاء، القاضي عياض ٢٦٠/٢.

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الضرير، ولد سنة ستين وكان من أوعية العلم ويضرب به المثل في قوة الحفظ، وكان ممن يرى القدر، توفي بالطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، ينظر: طبقات ابن سعد ٧ /٢٢٩، سير أعلام النبلاء ، ٥ /٢٦٩ ، البداية والنهاية ٣٢٥/٩ .

(٥) تفسير ابن كثير ١٥٦/٢ .

وقال بعضهم: الأفول هو الانتقال، والانتقال حركة وهي دليل الحدوث [1]؛ ورد عليهم ابن تيمية[2] بأن المعنى اللغوي للأفول : هو التغيب والاحتجاب سواء أريد بالأفول ذهاب ضوء القمر والكواكب بطلوع الشمس ، أو أريد به سقوطه من جانب المغرب فإنه إذا طلعت الشمس يقال عن الكواكب إنها غابت واحتجبت وإن كانت موجودة في السماء ولكن طمس ضوء الشمس نورها ، ثم إن إبراهيم عليه السلام لم يقل ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ لما رأى الكوكب يتحرك والقمر والشمس؛ بل قال ذلك حين غاب احتجب، فبطل قولهم الحركة دليل الحدوث [3] .

فهنا بيَّن إبراهيم عليه السلام أن الله قائم على عبده كل وقت ،وأما النجم فهو آفل يغيب تارة ويظهر تارة فليس هو قائماً

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي ٤ /٨٤ تفسير أبي السعود ٣ /١٥٣ . قصد هؤلاء المفسرون : نفي الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى مثل النزول، الاستواء، المجي ، الإتيان ذلك أنهم في باب الأسماء والصفات من المؤولة الذين اتبعوا منهج متأخري الأشاعرة .

(٢) شيخ الإسلام إمام الأئمة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي ولد سنة إحدى وستين وستمائة بحران ، أوحد دهره في التفسير والفقه والأصول والسنة ، أثنى عليه أعداؤه ، أوذي في الله وسجن عدة مرات حتى توفاه الله في السجن سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ينظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٤١ ، البدر الطالع ١ /٦٣ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ /٣٨٧ ، الدرر الكامنة ١ /١٥٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٥/٥٤٧ .

على عبده في كل وقت، ففيه نقص وأما الرب فاطر السماوات والأرض فله صفات الكمال [١] .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٢] .

أي لما رأى القمر طالعاً قال: هذا ربي تنزلاً ، فلما غاب قال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له فقالها على معنى الإشفاق والحذر [٣].

قال القرطبي في قوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى ﴾ أي: لم يثبتني على الهداية وقد كان مهتدياً [٤] . وفي هذا تلميح لضلال قومه .

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [٥] .

أي فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام السماوية الثلاثة التي هي أنور ماتقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع ،تبرأ إبراهيم عليه السلام من معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله وقال :

---

(١) ينظر المصدر السابق ١١ /٢٠٦،٢٠٧ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢ /٤٢٤ ، وينظر الشفاء ،القاضي عياض ٢ /٢٦٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٧/٧ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ٧٨ .

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

فتبرأ من الشرك وأذعن للتوحيد و لم يأخذه في الله لومة لائم،و لم يستوحش من الجهر بالحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وإنكارهم عليه، وبيَّن لهم أنه وجه وجهه في عبادته للذي خلق السماوات والأرض ،وذلك على ما يجب لله من التوحيد مقبلاً عليه معرضاً عما سواه متبرئاً من المشركين فليس هو منهم ولا ممن يدين دينهم [2].

ولكن قوم إبراهيم لم يذعنوا للحق بعد بيانه لهم وأقاموا على باطلهم وصاروا يناظرون إبراهيم ، قال الله تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3].

والمحاجة في اللغة مصدر حاج يحاج حجاجاً ومحاجة وهي الجدل والتخاصم[4].

قال ابن عباس في قوله ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾ أتخاصمونني في الله[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ٤٨٧/١١، ٤٨٨ ، تفسير ابن كثير ١٥٦/٢ ، تفسير الكريم الرحمن ، السعدي ٤٢٤/٢، ٤٢٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٠ .

(٤) لسان العرب ابن منظور مادة حجج ٢٢٨/٢

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ١٣٣١/٤

فصار قوم إبراهيم عليه السلام يجادلونه ويناظرونه فيما ذهب إليه من التوحيد ،وأوردوا عليه الشبه بما يدل على أن أصنامهم التي يعبدون آلهة .فقال ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ أي كيف تجادلونني في أمر الله وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني وأنا على بينة من أمري، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة [١] .

وهذا تأكيد للإنكار ؛فإن كونه مهدياً من جهة الله تعالى ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته [٢] .

ولما خوفوه آلهتهم أن تمسه بسوء ، أجابهم بعدم خوفه وأنها لاتضر ولاتنفع،فكيف يخافها ولكن خوفه من الله الذي إن شاء ناله في نفسه أو ماله بما شاء من جهته تعالى من غير دخل لتلك الآلهة فيه أصلاً ؛ لأنه القادر على ذلك، إظهاراً منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلامه لأمره، واعترافاً بكونه تحت ملكوته وربوبيته[٣].

ثم تعجب من حالهم وكيف يخوفونه بآلهتهم وفي نفس الوقت لا يخافون الله الذي خلقهم ورزقهم فقال :﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾ [٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٧/٢ ، فتح القدير، الشوكاني ١٣٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود ١٥٤/٣ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير ١٥٧/٢ ، تفسير أبي السعود ٣ /١٥٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية٨١ .

فكيف يخاف ما ليس في حيزِّ المخوفات أصلاً، وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها، وهو: إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء، وتسويتكم بين العاجز والقادر فهذا الحقيق بأن يخاف منه كل الخوف [1].

فأي الطائفتين أحق بالأمن : الذي عبد من بيده النفع والضر أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل ، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة ومن عقابه وحلول سخطه في عاجل الدنيا[2].

ثم قال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [3].

أي :هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ،ولم يشركوا به شيئاً، ولم يخلطوا إيمانهم بظلم هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا .

وقد اختلف في الذي أخبر الله تعالى عنه أنه قال هذا ؛فقال بعضهم : هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم الخليل عليه السلام وبين من حاجَّه من قومه من أهل الشرك بالله ، وقال غيرهم : إن هذا جواب من قوم إبراهيم لإبراهيم عليه السلام حين قال لهم : أي الفريقين أحق بالأمن؟ فقالوا له : الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٣ /١٥٤ ، تفسير البيضاوي ٤ /٨٤ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ٤٩٢/١١ ، تفسير ابن كثير ١٥٨/٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٢ .

بالأمن، واختار الطبري الأول ورجحه؛ لأن قوم إبراهيم لو قالوا ذلك لأقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم عليه السلام .

كذلك اختلف في المراد بالظلم في هذه الآية ؛ فقال بعضهم : إن الظلم هو الشرك، واستدلوا بما روى عبد الله بن مسعود[١] أنه لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ قال أصحاب رسول الله : أينا لم يظلم فأنزل الله :﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [٢] [٣].

وقال آخرون : بل المراد لم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم مثل المعاصي فالآية على العموم؛ لأن الله لم يخص به معنى من معاني الظلم [٤] .

واختار الطبري القول الأول وكذا ابن كثير وغيرهما [٥] .

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة ، كان من السابقين الأولين ، أسلم قديماً قبل عمر، شهد بدراً وهاجر الهجرتين كان من فقهاء الصحابة وقرائهم وروى علماً كثيراً وهو صاحب سِواد الرسول صلى الله عليه وسلم ووساده وسواكه ونعليه وطهوره ، كان يوم اليرموك على النقل ، سكن الكوفة ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع ، ينظر: طبقات ابن سعد ١٥٠/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٦/١، البداية والنهاية ١٦٩/٧ ، الإصابة ٣٦٩/٢.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ٢٢ ح ٣٢ الفتح ١ /٨٧ .

(٤) ينظر تفسير الطبري ١١/ ٥٠٢ ، تفسير البيضاوي ٤ /٨٩ .

(٥) ينظر تفسير الطبري ٥٠٣/١١ ، تفسير ابن كثير ١٥٨/٢ .

وفصَّل ابن تيمية في معنى الظلم ومعنى الاهتداء والأمن؛ فذكر أن الظلم ثلاثة أنواع هي : الذي هو شرك لا شفاعة فيه ، وظلم الناس بعضهم ،وظلم الإنسان لنفسه بترك الطاعات وفعل المعاصي .

وبيَّن أن الصحابة رضي الله عنهم شق عليهم الأمر لما ظنوا المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه؛ فبيَّن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله ،وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، فمن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء مطلقاً،وإن لم يسلم من أجناس الظلم الأخرى فيحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه ،وأما إن سلم منها كان له الأمن التام والهداية التامة[1].

وكذلك السعدي[2] قال : ((فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً لا بشرك ولا بمعاصٍ حصل لهم الأمن التام والهداية، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٧/٧٨، ٨٠،٨١ .

(٢) عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي من كبار علماء نجد المعاصرين ولد بعنيزة عام سبع وثلاثمائة بعد الألف ، اشتغل بالتدريس توفي بعنيزة عام ست وسبعين وثلاثمائة بعد الألف . ، ينظر : علماء نجد ٢ /٤٢٢ ، الأعلام ٣ /٣٤٠ .

حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن وإن لم يحصل لهم كمالها))[١].

وإن قيل : إن العاصي الموحد قد يعذب، فما الأمن والاهتداء الذي حصل له ؟ أجيب : فإنه آمن من التخليد في النار وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة فهو مهتد إلى طريقها [٢] .

ثم قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [٣].

الإشارة في قوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾ إلى ما تقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليه السلام عليهم ، أي تلك البراهين من قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ،وتلك الحجج والبراهين علا بها إبراهيم عليه السلام على قومه وقطع عذرهم وانقطعت حجتهم ،فرفعنا درجته عليهم في الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا فآتيناه أجره ،وأما في الآخرة فهو من الصالحين .﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ :أي كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله، عليم بمن يهديه ومن يضله وإن قامت عليه الحجج والبراهين، وهو لا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ٤٢٦/٢.

(٢) ينظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية ، ٧ /٨١ ، الفتح، ابن حجر ٨٩/١ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٣ .

يضع العلم والحكمة إلا في المحل اللائق بهما وهو أعلم بذلك المحل وبما ينبغي له[1] .

ومن الأجر الذي أوتيه إبراهيم عليه السلام أن كان الأنبياء من بعده من ذريته وهو موضوع المبحث القادم .

المبحث الثاني : أسماء الرسل الذين وردوا في الآيات وأولي العزم منهم .

من قواعد الإيمان بالرسل وجوب الإيمان بمن سمَّى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم؛ فيؤمن بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص، قال الله تعالى : ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴿١٦٤﴾ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾[3] .[4]

ومن الأحاديث التي ذكرت عددهم ؛ حديث أبي ذر[5] الطويل

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٥٠٤/١١ ، تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٣٥/٢ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٤٢٧/٢،٤٢٦ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٣) سورة غافر، الآية ٧٨ .

(٤) شرح الطحاوية ، ابن أبي العز ص ٢٩٠ .

(٥) جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين قيل كان خامس خمسة ، فاتته بدر وهاجر بعد الخندق، وكان حامل راية غفار يوم حنين شهد فتح بيت المقدس مع عمر وهو من زهاد الصحابة، أقام بالربذة حتى مات عام اثنتين

المتنازع في صحته والذي يحدد عدد الأنبياء بمائة ألف وأربعمائة وعشرين ألفاً وعدد الرسل بثلاثمائة وثلاثة عشر أو خمسة عشر [١] .

وأصح منه ما أخرجه الحاكم[٢] في مستدركه عن أبي أمامة[٣] أن رجلاً قال : يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : ثلاثمائة وخمس عشرة جماً غفيراً . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي [٤] .[٥]

= وثلاثين ، ينظر : طبقات ابن سعد ٤ / ٢١٩ ، البداية والنهاية ٧١/٧ ، سير أعلام النبلاء ٢ /٤٦ ، الإصابة ٤ /٦٢ .

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٧٨/٥، ١٧٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٨/٧ ورقمه ٧٨٧١ عن أبي أمامة وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف ١٥٩/١، كتاب العلم، باب السؤال للانتفاع وإن كثر، والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢٨٧/١ رقم الحديث ٣٦٢ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن عبدالله البيّع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي ، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، طلب الحديث صغيراً وكان من بحور العلم على تشيع خفيف فيه، توفي سنة ثلاث وأربعمائة ، ينظر : تاريخ بغداد ٤٧٣/٥ ، تذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣-١٠٤٥، سير أعلام النبلاء ١٦٢/١٧.

(٣) أبو أمامة أسعد بن حنيف الأنصاري ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورآه فيما قيل، كان فقيهاً حجة معمراً صلى بالناس أيام عثمان بن عفان ، توفي سنة مائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٨٢/٥ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٧ ، الإصابة ٩/٤ .

(٤) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تركماني الأصل ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، طلب العلم صغيراً وله مؤلفات عديدة في مختلف الفنون وكان أكثر أهل عصره تصنيفاً ، توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ينظر : البداية والنهاية ١٤ /٢٣٦ ، الدرر الكامنة ، ٧٣/٣ .

(٥) المستدرك ، الحاكم ، وبذيله التلخيص للذهبي ٢٦٢/٢ .

فلم يذكر في هذا الحديث عدد الأنبياء بل اقتصر على ذكر عدد الرسل .

وجزم بعض المؤلفين في الفرق بهذا العدد؛منهم البغدادي[1] الذي ذكر إجماع ((أصحاب التواريخ من المسلمين على أن أعداد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، أولهم أبونا آدم عليه السلام ،وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر)) [2] .كذلك ابن القيم جزم بهذا العدد [3] .

وفي المقابل هناك من يرى أنه لم يأت حديث صحيح في تعيين عددهم، منهم ابن كثير الذي ساق عند تفسيره لآية النساء أحاديث يذكر فيها أن عدد الأنبياء :مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، وأحاديث أخرى تذكر أن عددهم ثمانية آلاف، وغيرها يذكر أن عددهم ألف نبي ؛ثم بين أن الأحاديث الواردة لا تخلو من ضعف على كثرتها [4] .

---

(١) عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي الشافعي ، من أكبر تلامذة أبي إسحاق الإسفرائيني، من أهم مصنفاته: الفرق بين الفرق وأصول الدين ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٢/١٧، البداية والنهاية ٤٨/١٢ .

(٢) أصول الدين ، البغدادي ١٥٧ .

(٣) زاد المعاد، ابن القيم ١ /٤٣ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٥٩٩،٦٠١/١ .

وكذلك ابن تيمية الذي أشار إلى حديث أبي ذر بصيغة التضعيف فقال : (وقد روي في حديث أبي ذر أن عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) وكأنه لم يصح عنده إذ لم يستدل به ؛ بل استدل بما ورد في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن كل أمة قد بعث فيها رسول ، مثل قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [١]، ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل**))[٢] وقال : وهذه السبعون سواء كانت هي التي هداها الله أو هي الجميع فإنه يدل على أكثرية الرسل)[٣] .

وأشار في موضع آخر إلى كثرة أنبياء بني إسرائيل وأنهم أكثر الأمم أنبياء بعث إليهم موسى وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل إنهم ألف نبي)[٤] .

كذلك الإمام أحمد بن حنبل[٥] مع أنه هو الذي روى حديث

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٤ .

(٢) مسند أحمد ٣/٥ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

(٣) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢ /١٦٩ .

(٤) المصدر نفسه ١/٢١٠ .

(٥) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي ، ولد سنة أربع وستين ومائة، نشأ يتيماً ، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، امتحن في مسألة خلق القرآن فثبت ، كان زاهداً ورعاً ، توفي يوم الجمعة سنة إحدى و أربعين ومائتين وذلك في جنازة عظيمة ، ينظر :

أبي ذر، فإنه لم يصح عنده ،ذلك أنه صرح بأنه لا يعرف عدد الأنبياء والرسل والكتب [1] .

لذا كان من الأسلم -كما سبق ذكره- الإمساك عن تعيين عدد الأنبياء والإيمان بمن سمَّى الله منهم والإيمان بالبقية إجمالاً [2] .

وقد سمَّى الله تعالى في كتابه خمسة وعشرين نبياً ذكر منهم في سورة الأنعام على نسق واحد ثمانية عشر نبياً وهم الوارد ذكرهم في هذه الآيات : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [3] .

فأول الأنبياء الوارد ذكرهم في هذه السورة هو: نبي الله إبراهيم الذي هو أكرم الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم على الله تعالى،وهو خير البرية وأعزها ،ومما أكرمه الله تعالى به أن جعل

= طبقات ابن سعد ٧ /٣٥٤ تاريخ بغداد ٤ /٤٠٢ ، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٧ ، البداية والنهاية ١٠ /٣٤٠ .

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٤٠٩/٧ .

(٢) ينظر : فتاوى اللجنة الدائمة ١٩٥/٣ ، رقم الفتوى ٥٦١١ .

(٣) سورة الأنعام، الآيات ٨٣ – ٨٦ .

أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله وذريته ، وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة وأعظم السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك وهذا من أجره الذي آتاه الله في الدنيا جزاء على طاعته لله وإخلاصه له ومفارقته دين قومه المشركين بالله [١].

وإبراهيم اسم أعجمي وجاء في التوراة أن اسمه كان إبرام،ثم لما صار ابن تسع وتسعين سنة قال له الله : فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم [٢].

وثاني الأنبياء الوارد ذكرهم : إسحاق[٣] وأمه سارة زوج إبراهيم ،وهو أبو يعقوب ، فذكر ولد إبراهيم وولد ولده ، وابتدأ سبحانه بهما؛ لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ؛وهو أشد سروراً بابنه الذي مُتع به و لم يؤمر بفراقه وابن ابنه الذي أكثر الأنبياء الداعين إلى الله من نسله [٤].

وكانت البشارة بإسحاق ويعقوب معاً ، قال تعالى :﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا**

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٥٠٧/١١ ، التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٦٣ ، النبوات ، ابن تيمية ، ص ٢٥ .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر : ٥ وفي قاموس الكتاب المقدس ومعنى إبرام : الأب الرفيع أو الأب المكرم ومعنى إبراهيم : أبو جمهور ص ٩ .

(٣) ومعناه بالعبرية (يضحك) وذلك أنه لما وعد أبواه به ضحك ولما ولدته أمه قالت : إن الرب قد صنع إلى ضحكاً ، سفر التكوين ٢١ :٦ ، ينظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦ .

(٤) نظم الدرر ، البقاعي ، ٦٦٤/٢.

﴿ بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[1]؛ ذلك أن سارة كانت امرأة عاقراً ،فوهبت لإبراهيم جاريتها هاجر، فدخل عليها ،وولدت له إسماعيل، ثم بشرت سارة بإسحاق بعد ذلك ،فولدته وعمرها تسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة كما ورد في التوراة [2].

وأما في القرآن فلم يرد تحديد العمر بل ورد قولها : ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾[3] . وكانت البشارة قد وقعت بإسحاق وبابنه لأن ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه ولأن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب [4] .

ويدعي أهل الكتاب أن إسحاق هو الذبيح وسيأتي مناقشة هذا عند ذكر إسماعيل عليه السلام .

وأما يعقوب فهو إسرائيل عليه السلام وسمي يعقوب؛ لأنه لما وُلد كان ممسكاً بعقب أخيه التوأم العيص كما ورد في التوراة [5]، وأما ابن كثير فيقول : يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية[6].

وغيِّر اسمه إلى إسرائيل بعد أن نبأه الله ،وبنى هو مذبحاً لله

---

(١) سورة هود، الآية ٧١ .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح ١٧:١٧ .

(٣) سورة هود، الآية ٧٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .

(٥) سفر التكوين الإصحاح ٢٥ :٣٦ ، وفي قاموس الكتاب المقدس ، يعقوب : اسم عبري معناه : يمسك العقب ، يعقب ، يحل محل ص ١٠٧٣ .

(٦) تفسير ابن كثير، ١٥٩/٢ .

أسماه مذبح إيل، وإيل عندهم اسم لله ، في التوراة أن الله قال له : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل [١].

وقد ولد يعقوب في حياة إبراهيم وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما كما سبق، ولقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ** ﴾ فلو لم يوجد في حياتهما لما كان في تخصيصه من بين ذرية إسحق فائدة،ولقوله تعالى :﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ** ﴾[٢] أي أنه كان حاضراً موت إبراهيم، كذلك كان هو باني المسجد الأقصى وبين بنائه وبناء المسجد الحرام أربعون سنة كماروى البخاري[٣] سنده إلى أبي ذر رضي الله عنه أنه قال:(قلت :يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : **المسجد الحرام** . قال : قلت: ثم أي ؟ قال : **المسجد الأقصى** . قلت : كم كان بينهما ؟ قال: **أربعون سنة**)[٤] .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣٥ : ٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٢ .

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه وهي أعجمية معناها الزراع، ولد سنة أربع وتسعين ومائة ، رحل في طلب الحديث ، صنف كتابه الصحيح في ست عشرة سنة وقد أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وشرطه فيه أعز من شرط كل كتاب . امتحن بسبب قول: لفظي بالقرآن مخلوق وكان الحق معه ، توفي في خرتنك مدينة بسمرقند سنة ست وخمسين ومائتين ، ينظر : تاريخ بغداد ٢ /٤ ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩١ ، البداية والنهاية / ١١ /٢٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ١٠ ، ح ٣٣٦٦ ، الفتح ٦ /٤٠٧ .

ومعنى إسرائيل هو عبدالله كما قال ابن عباس[1]: إسرائيل هو كقولك عبدالله [2].

ثم ذكر الله تعالى نوحا عليه السلام فهو رابع الأنبياء المذكورين في هذه السورة؛ فقال الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل إبراهيم، وعد هداه نعمة على إبراهيم من حيث إنه أبوه،وشرف الوالد يتعدى إلى الولد، فجعل إبراهيم في أشرف الأنساب؛ لأنه رزقه أولاداً مثل إسحاق ويعقوب وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهما ، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح وشيت عليهما السلام فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحسب الأولاد وبحسب الآباء [3].

ولكل من نوح وإبراهيم عليهما السلام خصوصية عظيمة ؛ فأما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن

---

(١) حبر الأمة وإمام التفسير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، انتقل إلى دار الهجرة عام الفتح مع أبويه وقد قيل أنه أسلم قبل ذلك، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين ومعرفة التأويل ، كان من أمراء علي ، ذهب بصره في آخر عمره، توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، ينظر : طبقات ابن سعد ٢ /٣٦٥ ، تاريخ بغداد ١ / ١٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١- ٣٥٩، الإصابة ٢ /٣٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١١ ، وفي العبرية معناه : يجاهد مع الله، ينظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦ .

(٣) ينظر التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٦٣ ، تفسير البيضاوي ٤ /٩٠ ، تفسير أبي السعود ٣ /١٥٧ .

به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقين ، فالناس كلهم من ذريته ، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ** ﴾ [١] .[٢]

ونوح اسم أعجمي ،وقيل إنه مشتق من النَّوْح وسمي به لطول ما ناح على نفسه [٣]، وهو ابن لمك بن متوشلح بن خنوح وهو إدريس،[٤] على قول بعضهم – وسيأتي تحقيق هذا- وهو أول الرسل كما جاء في الحديث إن الناس يوم القيامة يأتون نوحاً (فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً)[٥].

وأورد ابن حجر[٦] عند شرحه للحديث أن كونه أول الرسل قد استشكل بأن آدم كان نبياً ،وبالضرورة كان على شريعة من

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ /١٥٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٨ /٢٧٨٧.

(٤) ينظر : أعلام النبوة ، الماوردي ، ٦٢ ، فتح الباري ، ابن حجر ٦ /٣٨٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ٣ ح ٣٣٤٠ ، الفتح ٦ /٣٧١ .

(٦) أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر ، نشأ يتيماً ، طلب العلم وحفظ القرآن صغيراً ، برع في علوم شتى ثم تفرغ لعلم الحديث ومن أهم مصنفاته : التهذيب، ولسان الميزان وأعظمها فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ولي القضاء عدة مرات ، توفي عام اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ينظر الضوء اللامع، السخاوي ، ٢ /٣٦ ، البدر الطالع ، الشوكاني ١ /٨٧ .

العبادة ،وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فهو أول رسول ، وأجاب بأنه يحتمل أن تكون الأولوية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد[1].

وذكر ابن تيمية أن القول الراجح في التفريق بين النبي والرسول :أن الرسول هو الذي يبعث إلى قوم كافرين به، وأما آدم عليه السلام فقد بعث إلى أبنائه وهم مؤمنون به فهو أول الأنبياء كما أن نوحاً هو أول الرسل [2].

وقال ابن حجر : واستشكله بعضهم بإدريس، أي استشكل كون نوح أول الرسل ،ثم أجاب بأنه لا يرد لأنه اختلف في كونه جد نوح [3].

فيرى فريق من العلماء أن أخنوخ أو خنوخ –على اختلاف في ضبطه– جد نوح هو إدريس عليه السلام منهم البخاري حيث قال في صحيحه : (باب ذكر إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح ويقال جد نوح عليهما السلام)[4] .

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ، ٦ /٣٧٢ .

(٢) ينظر : النبوات ، ابن تيمية ، ١٧٢، ١٧٣.

(٣) فتح الباري ، ابن حجر ، ٣٧٢/٦ .

(٤) صحيح كتاب الأنبياء باب ٥ ، الفتح ٢٧٤/٦ .

وكذلك ابن كثير قال : فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو خنوخ ،وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره غير واحد من علماء النسب [١].

وجزم الماوردي [٢]بهذا فقال : أخنوج بن يارد وهو إدريس ، وولد بعد مائة واثنتين وستين سنة من عمر يارد ،وهو نبي على قول جميع أهل الملل [٣].

كذلك ابن تيمية قال : وقد كان قبله – أي نوح- أنبياء كشيث وإدريس [٤].

وأما تسميته بإدريس فقال بعضهم : لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى، فاشتقاقه من الدراسة ،وهذا إذا قيل إنه عربي ،وقد قيل إنه سرياني .

قال ابن حجر : ولا يمنع ذلك كون لفظ إدريس عربياً إذا

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ، ١ /٩٢ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد، من مصنفاته كتاب : الحاوي في الفقه والنكت في التفسير وأدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية وغيرها ، اتهم بالاعتزال مات سنة خمسين وأربعمائة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة ينظر : تاريخ بغداد ١٢ /١٠٢ ، طبقات السبكي ٥ /٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ١٨ /٦٤ .

(٣) أعلام النبوة ، الماوردي ، ص ٦٢ .

(٤) النبوات ، ابن تيمية ، ص ١٧٣ .

ثبت بأن له اسمين [1].

ونسبت إلى إدريس أوليات منها : أنه أول من خط بالقلم ، وأول من لبس الثياب -وكانوا يلبسون الجلد- ، وأول من اتخذ السلاح، وأول من وضع الأوزان والكيل [2].

وقد جاء ذكره في القرآن في قوله تعالى :﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [3] .

فقد اختلف في المكان العلي على أقوال منها : أنه الجنة ، وقال بعضهم إنه رفع ولم يمت كما رفع عيسى ، قال ابن حجر : وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية [4].

وذكر آخرون أنه سأل خليلاً له من الملائكة أن يسأل ملك الموت عن عمره فحمله إلى السماء الرابعة، فتلقاهم ملك الموت منحدراً ، فكلمه الملك وسأله فقال له ملك الموت : وأين إدريس ؟ فقال : هو ذا على ظهري ،فقال ملك الموت : العجب بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فنظر الملك إلى تحت

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ٦ /٣٧٣ ، وينظر أعلام النبوة ، الماوردي ص ٦٢، تفسير القرطبي ٥٨/٧ .

(٢) أعلام النبوة ، الماوردي ، ص ٦٢ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ١ /٩٢ ، فتح الباري ، ابن حجر ٣٧٥/٦ .

(٣) سورة مريم، الآيتان ٥٦،٥٧ .

(٤) فتح الباري : ابن حجر ٦ /٣٧٥ .

جناحه فإذا إدريس قد قبض وهو لا يشعر.

قال ابن كثير بعد أن أورد الخبر : هذا من الإسرائيليات وفيه نكارة والله أعلم [١].

وفي المقابل يرى فريق آخر أن إدريس –المذكور في القرآن– ليس من أجداد نوح عليه السلام بل من أبنائه، ويستدلون لذلك بحديث الإسراء والمعراج ،وأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح) و لم يقل له : (مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح)[٢] كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام .

قالوا : فلو كان في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم لقال له كما قالا عليهم الصلاة والسلام ، وأجاب الأولون بأن هذا لا يدل ولا بد لأنه قد يكون الراوي لم يحفظه جيداً ،أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع و لم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب آدم الذي هو أبو البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن ، فليس ذلك نصاً فيما ذهبوا إليه [٣].

وذكر بعض هؤلاء أن إدريس هو إلياس وبالتالي هو من ذرية نوح [٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٣٣ ، ينظر البداية والنهاية ، ابن كثير ١ /٩٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ٥ ح ٣٣٤٢ ، الفتح ٦ /٣٧٤ .

(٣) ينظر : البداية والنهاية، ابن كثير، ١ /٩٣، فتح الباري ، ابن حجر ٦ /٣٧٣ .

(٤) ينظر : صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء ، باب ٤ ، الفتح ٦ /٣٧٣ .

ثم قد اختلف في الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ فقيل المراد : من ذرية نوح لأنه، أقرب مذكور ولأن لوطاً ليس من ذرية إبراهيم عليه السلام

وقيل: بل الضمير يعود على إبراهيم عليه السلام؛ لأنه هو المقصود بالذكر في هذه الآيات ، وإنما ذكر الله تعالى نوحاً عليه السلام؛ لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أحد موجبات رفعة إبراهيم عليه السلام .

وأما ذكر لوط عليه السلام؛ فلأنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام،والعرب تجعل العم أباً، أو للتغليب ، أو لأنه من أتباعه عليه السلام وممن آمن على يديه [1] .

وأما الخامس من الأنبياء المذكورين فهو : داود[2] بن أيشار ، من نسل يهوذا بن يعقوب ، وهو الذي قتل جالوت ،ثم صار الملك إليه فجمع الله له بين الملك والنبوة ،وكان الملك يكون في سبط والنبوة في سبط آخر ،واجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا

---

(1) ينظر : تفسير الطبري ١١ /٥٠٧ ، الكشاف ، الزمخشري ٢ /٣٣ ، التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٦٣ ، تفسير البيضاوي ٤/٩٠، تفسير أبي السعود ٢ /١٥٧ ، نظم الدرر ، البقاعي ٢/٦٦٤ ، وينظر النبوات ، ابن تيمية ص ٢٥ .

(2) داود : اسم عبري معناه : محبوب ، قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩١ .

يَشَآءُ ﴾ [١].

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [٢] فذكر الله تعالى أنه أعانه على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها .

وداود عليه الصلاة والسلام هو أبُ النبي السادس المذكور في هذه السورة ،وهو سليمان عليه الصلاة والسلام، وقد ورثه في النبوة والملك، قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[٣].

وسليمان[٤] هو الذي جدد بناء بيت المقدس ، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف سنة، وقد أعطاه الله ملكاً عظيماً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١ .

(٢) سورة سبأ، الآيتان ١٠،١١ .

(٣) سورة النمل، الآية ١٦ .

(٤) سليمان اسم عبري معناه رجل سلام ، قاموس الكتاب المقدس ٤٨١ .

(٥) سورة ص، الآيات ٣٥- ٣٩ .

وجاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم : ((**إن عفريتاً من الجن تفلَّت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي ، فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ،فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ فرددته خاسئاً**))[1].

ومكثت الجن في خدمته بعد موته مدة من الزمن ، قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝** ﴾[2] .

وجاء في تحديد هذه المدة أنها حول كامل وذلك في الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب[3].

وسابع الأنبياء المذكورين في هذه السورة هو : أيوب عليه الصلاة والسلام[4] وهو من ذرية العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٤٠ ح ٣٤٢٣ ، الفتح ٤٥٧/٦ .

(٢) سورة سبأ، الآية ١٤ .

(٣) ينظر فيما سبق البداية والنهاية ، ابن كثير ٢ /٩، ٢٩ .

(٤) أيوب اسم عبري اختلف في معناه فقيل إنه قريب من اللفظ العربي آيب إي الراجع إلى الله والتائب وقيل بل معناه المبتلى من الشيطان ، قاموس الكتاب المقدس ، ١٤٦ .

وقال ابن اسحاق : الصحيح أنه كان من بني إسرائيل و لم يصح في نسبه شيء .

وجاء ذكر ابتلائه في قوله تعالى :﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(١)] .

وقوله تعالى:﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [(٢)] .

قال علماء التفسير والتاريخ أن أيوب كان رجلاً كثير المال والولد ،فسلب منه ذلك جميعه وابتلي في جسده وهو صابر محتسب، وطال مرضه و لم يعد يحنو عليه أحد إلا زوجته وهي صابرة معه،وامتد ذلك به مدة من الزمن اختلف فيها فقيل : ثلاث عشرة سنة وقيل: ثلاث سنين وقيل: سبع سنين ، ورجح ابن حجر أنها ثلاث عشرة سنة [(٣)]، حتى دعا الله ففرج عنه وأبدله الله صحة ظاهرة وباطنة، وأخلف له أهله وآتاه مالاً كثيراً، حتى صب له من المال صباً مطراً

(١) سورة ص، الآيات ٤١-٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان ٨٣، ٨٤ .

(٣) فتح الباري ، ابن حجر ٦ /٤٢٢ .

عظيماً [1]، روى البخاري بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ((**بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ولكن لاغنى لي عن بركتك**))[2].

وثامن الأنبياء المذكورين هو يوسف[3] بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام أكرم الناس كما جاء في الحديث[4]. وقصته مذكورة في القرآن في سورة يوسف .

أما تاسع الأنبياء وعاشرهم في هذه الآيات فهما : موسى[5] وهارون ابنا عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب، وقصتهما مع فرعون (أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن ثناها الله أكثر من غيرها) [6].

وقال الإمام أحمد بن حنبل : أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم

---

(١) ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١ /٢٠٦ – ٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٢٠ ح ٣٣٩١ ، الفتح ٦/٤٢٠ .

(٣) يوسف اسم عبري معناه يزيد قاموس الكتاب المقدس ص ١١٥ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ١٩ ، ح ٣٣٨٣ ، ٣٣٩٠ .

(٥) موسى : اسم مصري معناه ولد ومعناه بالعبر ي : منتشل ، قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٠ .

(٦) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ١٧/٢١ .

الله لموسى [١].

ثم ذكر الله تعالى زكريا [٢] وابنه يحيى[٣]، وفي زكريا أربع لغات: المد والقصر وحذف الألف مع تخفيف الياء وفيه تشديدها و حذفها، وزكريا هو ابن أدن ،ويقال ابن شبوى ،ويقال ابن بارخيا، وهو من نسل سليمان بن داود عليهما السلام ؛ وابنه يحيى لم يسم أحد قبله به،رزق به على الكبر كما جاء في سورة آل عمران وسورة مريم .

واختلفت الرواية في موته:هل مات موتاً أو قتل قتلاً ؟

و أما يحيى فقد قُتل واختلف في سبب قتله [٤] . ويحيى بن زكريا هو ابن خالة عيسى بن مريم، وقد ذكر الله تعالى قصة مريم وحملها بولدها عيسى في سورة مريم ،وأبوها عمران كان صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه ،وأما زكريا نبي ذلك الزمان فكان زوج أختها، وقيل زوج خالتها .

وفي ذكر عيسى عليه السلام في سياق الآيات دليل بينّ على أن

---

(١) المصدر نفسه ٣٢ .

(٢) زكريا : اسم عبري معناه يهوه قد زكر أي ذُكر ، قاموس الكتاب المقدس ٤٢٧.

(٣) يحيى : اسم عبري معناه (يهوه يحيا) قاموس الكتاب المقدس ١٠٥٧ وقد سُمي يحيى في الإنجيل :يوحنا ومعناه أو يعوه حنون ، قاموس الكتاب المقدس ١١٠٥.

(٤) ينظر فتح الباري ٦ / ٤٦٨ ، البداية والنهاية ٢ /٤٣-٥١ .

الذرية تتناول أولاد البنات [١]،ومريم بالسريانية الخادم [٢].

ثم ذكر الله تعالى إلياس،ورُوي أنه إدريس،وقيل بل هو من أسباط هارون أخي موسى ، وقيل من سبط يوشع بن نون،وقيل من ولد إسماعيل [٣].

ورجح الطبري في تفسيره أن إلياس من ذرية هارون ،وأن إدريس جد نوح؛ لأن الله تعالى نسب إلياس في الآيات إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح - كما يقول - هو ابن إدريس عند أهل العلم ، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته[٤].

كذلك ابن تيمية يقول : وإلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل [٥]. وإلياس هو المذكور في سورة الصافات في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [٦].

---

(١) ينظر البداية والنهاية ١ /٤٢-٥١ ، فتح الباري، ابن حجر ٤٦٩/٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ٣ /١٥٧ ، تفسير الجلالين ١١٣ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ٥٠٨/١١ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٣٣٧/٤ ، تفسير القرطبي ٣٢/٧ ، تفسير البيضاوي ٩٠/٤ ، البداية والنهاية ٣١٤/١.

(٤) تفسير الطبري ١١ / ٥٠٨ وينظر البداية والنهاية ، ابن كثير ١ /٣١٦.

(٥) النبوات ، ابن تيمية ص ٢٦ .

(٦) سورة الصافات، الآيات ١٢٣-١٣٠.

وأضيفت إليه النون، لأن العرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها،وإرساله كان لأهل بعلبك[١] فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلاً ،فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله ، فهرب واختفى منهم .

وهناك أحاديث موضوعة وضعيفة تفيد حياة إلياس و لم يصح منها شيء .[٢]

وأما النبي الخامس عشر المذكور: فهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأمه هاجر جارية سارة زوجة إبراهيم، وإسماعيل اسم أعجمي، وجاء في التوراة أن ملاك الرب بشَّر هاجر بإسماعيل وقال لها : (تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب: هاأنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك)[٣] وهو بكر إبراهيم عليه السلام وأفضل بنيه لقول

---

(١) بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف المشددة : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة ولعلها المدينة الموجودة حالياً في لبنان في منطقة البقاع بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل: اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل، وبعلبك اسم مركب من بعل اسم صنم، وبك الذي اختلف في معناه فقيل اسم رجل وقيل: من يبك الأعناق هذا إن كان عربياً، وإن كان أعجمياً فلا اشقاق .ينظر معجم البلدان ١ /٤٥٣ .

(٢) ينظر البداية والنهاية، ابن كثير، ١ /٣١٥،٣١٤ .

(٣) سفر التكوين الإصحاح ١٦، ١١/١٠ وفي قاموس الكتاب المقدس : إسماعيل اسم عبري ومعناه يسمع الله ص ٧٣ .

رسول صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل**))[1]. ووصفه الله تعالى بأنه صادق الوعد فقال : ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾** ﴾[2] .

ومن أعظم صدقه للوعد صدقه فيما وعد أباه من صبره للذبح وبذلك، قال الله تعالى: ﴿ **فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[3] .

ويدَّعي أهل الكتاب أن الذبيح هو إسحاق وعندهم أن الله أمره أن يذبح ابنه وحيده وأقحموا إسحاق لأنه؛ أبوهم ففي التوراة : (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق)[4].

وهذا تحريف باطل؛ لأنه لا يقال وحيد إلا لمن ليس له غيره ، وبنص التوراة إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ،ثم إن

---

(١) جامع الترمذي، كتاب المناقب باب ١ رقم الحديث ٣٦٠٥ ،قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ٥/٥٤٤ .

(٢) سورة مريم، الآيتان ٥٤ ،٥٥ .

(٣) سورة الصافات، الآيات ١٠١-١٠٥ .

(٤) سفر التكوين ، الإصحاح الثاني والعشرون ٢٠.

أول من يولد له معزة ليست لمن بعده، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء، كذلك المناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث إسماعيل لا إسحاق [١].

وقد بشر إبراهيم بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبح ، قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [٢].

وكما سبق فإن البشارة بإسحاق شملت يعقوب أي أنه يكون من ذريته عقب ونسل فلا يجوز أن يؤمر بذبحه وهو بعد صغير وقد وصف إسماعيل بالحلم وهو المناسب في هذا المقام لذلك أن الذبيح هو إسماعيل .[٣]

ثم ذكر الله تعالى : أَلْيسع، واختلفت القراءة فيه،فقرأ بلام مخففة، وقُرأ بلام مشدودة (اللَّيسع)، والذين قرأوا بالتشديد ردوا القراءة الأولى وقالوا : لأنه لا يقال اليفعل مثل اليحيى، وأجيبوا بأن: هذا الرد لا يلزم، لأن الاسم أعجمي، والعجمة لا تؤخذ بالقياس إنما تؤخذ سماعاً، والعرب تغيرها بتقويم حرف من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان ؛ وعلى هذا فلا يمتنع أن يأتي الاسم بلغتين [٤].

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ج ٤ /١٧،١٨ .

(٢) سورة الصافات، الآيات ١٠٧- ١١٢ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير ٤/١٧،١٨.

(٤) تفسير الطبري ١١ /٥١٠ ، تفسير القرطبي ٣٢/٧ .

وكما اختلف في لفظه اختلف في تحديد المراد به ؛ فقيل: هو ابن أخطوب بن العجوز خليفة إلياس وابن عمه ، وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام. وقيل اليسع : هو الخضر ، وقيل هو يوشع بن نون . وجزم الطبري بأنه اليسع بن أخطوب بن العجوز خليفة إلياس [(١)].

وقيل:إنه الأسباط ،والصحيح أن الأسباط هم حفدة يعقوب وذرية أبنائه الاثني عشر وليس من أبنائه الاثني عشر نبي إلا يوسف عليه السلام [(٢)].

وأما النبي المذكور بعده فهو يونس عليه الصلاة والسلام ،وهو بالاتفاق يونس بن متّى ، قال الله تعالى في سورة يونس :﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ٥/٢ ، تفسير الطبري ٥١٠/١١ ، تفسير القرطبي ٣٢/٧ ، تفسير أبي السعود ١٥٧/٣ ، نظم الدرر ، البقاعي ٦٦٧/٢ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، ج٣ ص ٢٠٨ ينظر: فتح الباري، ابن حجر ٦ / ٤١٩ ، وينظر الرسل والرسالات ، الأشقر ص ١٩ حيث ذكر أن إخوة يوسف كلهم أنبياء وهم الأسباط .

(٣) سورة يونس، الآية ٩٨ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٨٧ .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1].

قال المفسرون : بعث يونس إلى أهل نينوى[2] من أرض الموصل [3]،فدعاهم إلى الله ، فكذبوه وتمردوا ،فتوعدهم بالعذاب بعد ثلاث ليال ،وخرج من بين أظهرهم ،ثم قذف الله في قلوبهم التوبة وتضرعوا وجأروا إليه ،فكشف الله عنهم برحمته العذاب الذي اتصل بهم ، واختلفوا هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده، أو هما أمتان على ثلاثة أقوال .

ولما ذهب مغاضباً بسبب قومه ـ على قول من قال إن إرساله إليهم كان قبل الحوت - ركب سفينة فاضطربت وماجت، فاستهموا على إلقاء واحد منهم في البحر،فألقي يونس والتقمه

---

(١) سورة الصافات، الآيات ١٣٩- ١٤٨.

(٢) بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو وهي قرية يونس عليه السلام بالموصل ، معجم البلدان ٣٣٩/٥.

(٣) بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة وهي باب العراق ومفتاح خراسان ، معجم البلدان، ٣٣٩/٧.وحاليا هي من مدن العراق .

الحوت، واختلف في مدة مكثه ؛فقيل التقمه ضحىً ولفظه عشية، وقيل ثلاث ليال، وقيل أربعين يوماً والله أعلم[1]. وهو من بني إسرائيل [2].

وأما النبي الثامن عشر والأخير فهو لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وقد أرسل إلى أهل سدوم [3]. وكانوا يستحلون الفاحشة قال ابن تيمية: (ولم يذكروا بالتوحيد بخلاف سائر الأمم ،وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين ،وإنما ذنبهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك، وكانت عقوبتهم أشد إذ ليس في ذلك تدين بل شر يعلمون أنه شر)[4].

ولوط عليه الصلاة والسلام بعث في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ كان ممن آمن معه وهاجر معه وذكره كان في آخر الأنبياء مما يدل على أن الترتيب الزماني لم يكن مقصوداً ؛فلذلك حاول بعض المفسرين استنباط الحكم في الترتيب المذكور، إضافة إلى أنه لم يراع فيه الفضل والدرجة ،مع أنه من المتفق عليه أن الواو لا توجب الترتيب .

فكان مما قالوه أن الله خص كل طائفة من طوائف الأنبياء

---

(١) ينظر البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١/٢١٦-٢١٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ١ /٥٥ .

(٣) سدوم : مدينة تقع في جنوب البحر الميت ، قاموس الكتاب المقدس ٤٦١ .

(٤) النبوات : ابن تيمية ، ص ٢٧ .

بنوع من الإكرام والفضل ،فمن ذلك الملك والسلطان والقدرة وقد أعطي داود وسليمان من هذا نصيباً عظيماً ، ثم من شابههما في ذلك فصبر واغتنى فشكر، ثم ذكر من سلطهما على الملوك وهما موسى وهارون، ثم من سلط الملوك عليهما وهما زكريا ويحيى ،ثم من عاندهما الملوك و لم يسلطوا عليهما وهما عيسى وإلياس، ثم أتبعهم بمن لم يكن بينهم وبين الملوك أمر وهم إسماعيل واليسع وهما ممن هدى الله بهما قومهما من غير عذاب، ثم من هدى الله قومه بالعذاب وأنجاهم بعد إتيان مخايله،ثم لما انقضت ذرية إبراهيم ختمهم بابن أخيه لوط الذي أهلك الله قومه .

وقيل غير ذلك،فكل من المفسرين يشير إلى حكمة لا يذكرها الآخر [١] .

وبغض النظر عن الحكمة في ترتيبهم فإنه لاشك أن هؤلاء الرسل هم من أفضل الرسل على الإطلاق ذلك أن الرسل الذين قصهم الله في كتابه أفضل ممن لم يقصص علينا نبأهم [٢] .

وفي قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٣]

(١) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٦٤ ، نظم الدرر ، البقاعي ٦٤٤/٢ .
(٢) تيسر الكريم الرحمن ، السعدي ، ٢ /٤٣٠ .
(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٩ .

تصريح بكفر مشركي قريش بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه قد وكّل بالإيمان بها قوماً آخرين اختلف فيهم ؛فقيل :إنهم المهاجرون والأنصار ،وقيل بأنهم الملائكة،وقيل : إنهم الأنبياء الذين سماهم الله في الآيات قبل هذه الآية .[1]

وإذ ورد لفظ الكفر فيحسن ذكر العلاقة بينه وبين الشرك ؛ فإن نظر إلى المعنى اللغوي لكل منهما فلا شك في اختلافه، ذلك أن أصل الكفر في اللغة الستر والتغطية [2]. وأما الشرك فأصله في اللغة من الشركة وهى المخالطة [3] .

وأما في الشرع فإن الكفر والشرك يعدان من الألفاظ المترادفة، فالشرك إذا أطلق فإنه يراد به الكفر ، فهو وإن كان أصله من الشرك الذي هو تشريك غير الله مع الله في العبادة فإنه يطلق أيضاً على من عبد غير الله عبادة كاملة فيسمي مشركاً ،وكذلك من ترك عبادة الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله فهو مشرك وإن كان أعظم كفراً وأشد شركاً، وهكذا من ينكر وجود الله ويقول ليس هناك إله والحياة مادة فهو أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركاً فيطلق على جميع هذه الاعتقادات شركاً ويطلق عليها كفراً بالله عز وجل [4].

---

(١) ينظر تفسير الطبرى ٥١٤/١١ ، فتح القدير ،الشوكاني ١٣٦/٢

(٢) لسان العرب ، ابن منظور مادة كفر،١١٤/٥

(٣) المصدر نفسه مادة شرك ٤٤٨/١

(٤) ينظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز ٣٣/٤ .

وأما إذا اقترن هذان اللفظان فيكون الكفر (عدم الإيمان بالله ورسله؛ سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن هذا كله ،حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة) .[١]

وأما الشرك فكما يقول ابن تيمية (وأصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به) .[٢]

فهؤلاء الثمانية عشر نبياً المذكورون في هذه الآيات وبقي سبعة ممن سماهم الله تعالى في كتابه هم :

آدم عليه السلام، إدريس عليه السلام ، هود عليه السلام، صالح عليه السلام، شعيب عليه السلام، ذو الكفل عليه السلام ، محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بعد ذكر الأنبياء الثمانية عشر بالاقتداء بهداهم، فقال تعالى : ﴿ **أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ** ﴾[٣] وقد قال له :﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ**

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣٥/١٢

(٢) الاستقامة : ابن تيمية ٣٤٤/١

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٠ .

﴿ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]، فلذلك اختلف فيهم وهل هم أولو العزم أم لا ؟ على أقوال . فقال قوم : أولو العزم هم نجباء الرسل وهم المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر، لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[2]. وقال بعضهم : الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾[3] .

وقال ابن زيد[4]: كل الرسل كانوا أولي عزم ، و لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ،وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال : اشتريت أكيسة من الخز وأردية من البز .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المشهور[5].

فأولوا العزم من الرسل هم أفضل الرسل، وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم : ((**أنا سيد ولد**

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ٢٩٩/٢ .

(٣) سورة القلم، الآية ٤٨ .

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد شهاب الدين أبو العباس الشمس الموصلي الدمشقي الحنبلي ويعرف بابن زيد ولد في صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة طلب العلم وبرع فيه وأشير إليه بالفضائل وكان خيراً علامة عازماً بالفقه والعربية وغيرهما محبباً عند العامة والخاصة مات سنة سبعين وثمانمائة ينظر: الشهاب اللامع ٥٧١/٢ ، الأعلام ٢١٩/١ .

(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي، ٢٥٨/٨ .لوامع الأنوار، السفاريني ٢ /٣٠٠. وينظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز ص ٢٩٠ ،زاد المعاد، ابن القيم ٤٣/١ .

آدم يوم القيامة)) [١].

وقد استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ** ﴾ [٢] على أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بأن يقتدي بهم بأسرهم ، أي بأن يجمع خصال العبودية والطاعة التي كانت متفرقة فيهم ، فاجتمع فيه ما كان متفرقاً بأسرهم ، قالوا : فوجب أن يقال : إنه أفضل منهم بكليتهم [٣] .

فحال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذلك أنه (كان عبداً رسولاً مؤيداً مطاعاً فأعطي فائدة كونه مطاعاً متبوعاً ليكون له مثل أجر من اتبعه ولينتفع به الخلق ويرحموا ويرحم بهم و لم يختر أن يكون ملكاً لئلا ينقص لما في ذلك من الاستمتاع بالرياسة والمال عن نصيبه في الآخرة فإن العبد الرسول أفضل عند الله من النبي الملك) [٤].

ويلي محمد صلى الله عليه وسلم في الفضيلة إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم فهما خير الرسل .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ،باب تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ، شرح النووي ٣٧/١٥ ، وفي البخاري بلفظ: (**أنا سيد الناس يوم القيامة**) كتاب الأنبياء باب ٣ ح ٣٣٤٠ ، الفتح ٣٧١/٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٧٠ .

(٤) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ٧٠/١٣ ، وينظر أصول الدين ، البغدادي ١٦٤ ، لوامع الأنوار ، السفاريني ٢٩٩/٢.

قال ابن تيمية : (والله تعالى لم يذكر قط عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا ؛ بل ذكر أنهم ألقوه في النار فجعلها برداً وسلاماً ،وفي هذا ظهور برهانه وآيته وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم ، وأظهره أيضاً بالقدرة ،وإبراهيم بعد هذا لم يقم فيهم بل هاجر وتركهم فلم يوجد في حقهم سبب الهلاك وهو إقامته فيهم وانتظار العذاب النازل، وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه لم يقم فيم بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك،ومحمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل فإنهم إذا علموا الدعوة حصل المقصود ،وقد يتوب منهم بعد ذلك من يتوب)[1].

وأما أفضل الأنبياء بعد إبراهيم فقالوا موسى ثم عيسى ثم نوح عليهم الصلاة والسلام [2].

المبحث الثالث : إثبات النبوة بالمسلك النوعي كما ورد في الآيات.

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان الناس في الإيمان بنبوته على درجات ، فمنهم من يكذب بجنس النبوة فلا يؤمن بالرسل من البشر،كما كان على ذلك قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم؛ ولهذا يقول الله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3]، ويقول:﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ

(١) النبوات ، ابن تيمية ، ص ٢٦ .

(٢) شرح جوهرة التوحيد ، البيجوري ص١٣٠ .

(٣) سورة الشعراء، الآية ١٠٥ .

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[١]، ويقول: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٢]؛ لأن تكذيبهم لم يكن لرسولهم فحسب؛ بل كانوا مكذبين لجميع الرسل، أو بعبارة أخرى مكذبين لجنس الرسالة والنبوة وهذه هي المرتبة الأولى .

ومنهم من يصدق بجنس الرسالة ويقر بنبوة الأنبياء ،ولا يدري هل يبعث نبي أولاً ؟ وهذه هي المرتبة الثانية .

ومنهم من يقر بجنس النبوات مثل أهل الكتاب، ويعرفون أنه سيبعث نبي ،ويعرفون بعض نعوته،وهذه هي المرتبة الثالثة .

فما تحتاجه كل طائفة من هؤلاء من دلائل صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا شك أنها مختلفة،ذلك أن الطائفة الأخيرة وما تحتاجه من دلائل صدقه صلى الله عليه وسلم أيسر إذ كانت حاجتهم هي : أن يعرفوا هل هو النبي المذكور أو غيره ؟ ومن أمثلة هؤلاء هرقل[٣] الذي سأل عن صفته صلى الله عليه وسلم وصفة

---

(١) سورة الشعراء، الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٤١ .

(٣) ملك الروم ولقبه قيصر ، جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بإيليا حاجاً بيت المقدس شكراً لله بعد انتصار الروم على الفرس وقد عظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ووضعه في قصبة من ذهب تعظيماً له فلم يزل بنوه من بعده يتوارثونه ويعظمونه، خرج من بيت المقدس سنة خمس عشرة وودعها وداع مفارق ، توفي سنة ست عشرة وقام بعده ولده قسطنطين ، ينظر فتح الباري، البداية والنهاية ٧ /٥٤ – ١٠٣ .

أتباعه وما يأمر به، ويسمى ما سلكه هرقل هو إثبات النبوة بالمسلك الشخصي .

وأما المسلك النوعي فيراد به تبيين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بنبوة من قبله أي بإثبات جنس النبوة ،وأن هناك أنبياء بعثهم الله إلى أقوامهم،وأن أقواماً كذبوهم وأقواماً صدقوهم، ويذكر عاقبة هؤلاء وهؤلاء ،فيعلم بالاضطرار ثبوت وجود الأنبياء ،ثم من أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الظهور[1] .

قال ابن تيمية : (طريق معرفة الأنبياء كطريق معرفة نوع من الآدميين خصهم الله بخصائص يعرف ذلك من أخبارهم واستقراء أحوالهم، كما يعرف الأطباء والفقهاء ،ولهذا إنما يقرر الرب تعالى في القرآن أمر النبوة وإثبات جنسها بما وقع في العالم من قصة نوح وقومه وهود وقومه)[2] وسائر الأنبياء .

فالنبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام، فإن أبناءه كانوا يعلمون نبوته وأحواله ويعلمون جنس ما تدعو إليه الرسل ، وقد استدل النجاشي[3] على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمجيء

---

(١) ينظر النبوات ابن تيمية ،ص ٢٣،٢٤ .

(٢) النبوات ،ابن تيمية ص ٢٣ .

(٣) ملك الحبشة واسمه أصحمة ، كان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر ولا له رؤية فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، توفي في حياة النبي صلى الله عليه

النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما جاءت به الأنبياء قبله ، فإنه لما استخبرهم عما يخبر به ، واستقرأهم القرآن فقرؤوه عليه قال :- إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . فكان عنده علم بما جاء به موسى واعتبر به ولولا ذلك لم يعلم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

ويلحظ كثرة ورود قصص الأنبياء في السورة المكية، والحكمة من ذلك : إثبات وجود جنس الأنبياء ابتداء وإثبات سعادة من اتبعهم وشقاء من خالفهم ،ثم تكون نبوة عين هذا النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرة؛ لأن الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء .

فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الظهور، وأما إنكار أهل الكتاب فكان لعنادهم وحسدهم،فجميع ما ذكر من قصص الأنبياء في القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى؛ ولهذا جميع مشركي العرب آمنوا به فلم يحتج أحد منهم أن تؤخذ منه جزية،ولا تكاد توجد أمة لا كتاب لها يعرض عليها دين المسلمين واليهود والنصارى إلا رجحت دين المسلمين (٢) .

= وسلم وصلى عليه صلاة الغائب وذلك سنة تسع من الهجرة، ينظر : سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١ ، الإصابة ١٧٧/١ .

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص ٩٣، السيرة النبوية، ابن كثير ٢١/٢، النبوات، ابن تيمية ص ٢٤ .

(٢) النبوات ، ابن تيمية ص ٢٣،٢٤ .

وجاء بيان حكم من أنكر النبوة في نظم غاية في الحسن وذلك بعد أن ذكر الله تعالى في سورة الأنعام محاجّة إبراهيم لقومه وذكر الأنبياء ثم قال الله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1]

أي ما عظَّم الله حق تعظيمه ولا عرفه حق معرفته ، من أنكر النبوة ونفى الرسالة من المشركين وغيرهم .

ذلك أن منكر الرسالة إما أن يقول: إنه تعالى ما كلف أحداً من الخلق تكليفاً أصلاً، أو يقول: إنه كلفهم التكاليف ،والأول باطل؛ لأنه يقتضي إباحة جميع المنكرات والقبائح، وإن قال بل كلفهم ؛فلا بد من مبلغ وشارع ومبين وما هو إلا الرسول .

كذلك إنكار الرسالة والنبوة طعن في الله فقد ثبت حدوث العالم، وحدوثه يدل على أن إله العالم قادر حكيم عليم، والخلق كلهم عبيده، وهو مالك لهم على الإطلاق، وملك لهم على الإطلاق، والملك المطاع يجب أن يكون له أمر تكليف على عباده، وأن يكون له وعد على الطاعة ووعيد على المعصية،وذلك لا يتم إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ فكل من أنكر ذلك فقد طعن في كونه تعالى ملكاً مطاعاً ،ومن اعتقد ذلك فهو ما قدر الله حق قدره [2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩١ .

(٢) التفسير الكبير، الرازي ٧٤/١٣ .

فبعثة الرسل من أعظم نعم الله ،ونقض الله تعالى في هذه الآيات دعوى المنكرين بإنزال التوراة العظيمة ،وهو الكتاب الذي شاع ذكره حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس ويتصرفون فيه بما شاءوا أي اليهود، وفي قوله :﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ قراءتان بالتاء وبالياء (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) فعلى قراءة الياء يكون القائلون ما أنزل الله على بشر من شيء هم مشركي قريش ،وقصدهم من ذلك إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،واحتجاجه تعالى عليهم بالتوراة؛ لأنه شاع ذكرها وليس المراد مجرد إلزامهم بالاعتراف بإنزال التوراة فقط؛ بل بإنزال القرآن[١]، والقائلون بأن قائل هذا مشركو قريش هم : ابن عباس ومجاهد وغيرهما واختاره الطبري وابن كثير[٢].

وقيل بل القائل : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ هو رجل من اليهود اختلف في اسمه، ويشهد لهذا القول قراءة التاء ،وهم إنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألزموا ما لابد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وأدرج تحت الإلزام توبيخهم بسوء صنيعهم بالتوراة،وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه وكتبوه في أوقات متفرقة، وإخفاء بعض مثل ما أخفوه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

(١) ينظر : تفسير أبي السعود ١٦٠/٣ ، الكشاف ، الزمخشرى ٣٤/٢ .
(٢) ينظر تفسير الطبري ٥٢٣/١١، تفسير القرطبي ٣٦/٧، تفسير ابن كثير ١٦١/٢.
(٣) ينظر الكشاف، الزمخشرى ٣٤/٢، تفسير البيضاوى ٩٣/٤ .

ثم أكّد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1]

أي إن الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم يوافق ما قبله من الكتب المنزلة في نفي الشرك وإثبات التوحيد، فكيف يقال ما أنزل الله على بشر من شيء، بل أنزل التوراة وأنزل القرآن [2] .

وقد قال النجاشي لما سمع القرآن : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى [3] –كما سبق – ذلك أنه موافق لها في الأصول العامة .

ثم بيّن الله تعالى صدق الأنبياء إذ كيف يقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، وهذا يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام [4]، وبيّن أن أعظم الافتراء عليه دعوى النبوة والرسالة كذباً، فقال :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٢ .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٣٧/٧، تفسير أبي السعود ١٦٠/٣، فتح القدير، الشوكاني ١٣٩/٢ .

(٣) السيرة النبوية ، ابن كثير ٢١/٢ .

(٤) فتح القدير ، الشوكاني ١٣٩/٢ .

﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [١]

أي لا أحد أعظم ظلماً ولا أكبر جرماً ممن كذب على الله، فنسب إليه قولاً أو حكماً وهو تعالى بريء منه، ويدخل في ذلك ادعاء النبوة وهو كاذب في ذلك، فإنه مع كذبه على الله وجرأته على عظمته وسلطانه، يوجب على الخلق أن يتبعوه ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم [٢] .

فلا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب في شيء من الأشياء ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ وقد صان الله أنبياءه عن الكذب وعما يفتريه عليهم المفترون وإنما هذا شأن الكذابين، وهؤلاء الذين يفترون على الله الكذب نوعان وهم من جنس واحد، ثم قال الله تعالى: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ و لم يقل أو قال ذلك أن الذي يقول هذا القول لا يدعي أنه رسول، إنما يدعي المعارضة ويزعم أن في إمكانه أن يأتي بمثل القرآن [٣] .

فذكر هنا المدّعون لشبه النبوة، وقد تقدم قبلهم ذكر المكذب للنبوة، فهذا يعم جميع أصول الكفر التي هي تكذيب الرسل أو

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدى ٤٣٤/٢ .

(٣) ينظر النبوات، ابن تيمية ٢٢٩، تيسير الكريم الرحمن، السعدى ٤٣٤/٢.

مضاهاتهم.

وقال الرازي [1] في الفرق بين من (افترى على الله كذباً) وبين من قال (أوحي إلي و لم يوح إليه): أن الأول يدّعي أنه أوحي إليه وما كان يكذب بنزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، وأما في هذا القول فقد أثبت الوحي لنفسه ونفاه عن محمد صلى الله عليه وسلم، وكان هذا جمعاً بين نوعين عظيمين من الكذب وهو إثبات ما ليس بموجود ونفي ما هو موجود [2]

وروى الطبري في تفسيره عن عكرمة أن هذه الآية نزلت في مسيلمة الكذاب [3] وفي عبد الله ابن أبي سرح [4] .

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن البكري أبوعبدالله، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وظهر منه في تآليفه انحراف عن السنة، وتوفي على طريقة حميدة، نقل السبكي وصيته في الأخذ بطريقة القرآن في الإثبات والنفي، توفي سنة ست وستمائة ينظر في ترجمته : طبقات الشافعي، السبكي ٥ /٣٣-٤٠ سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠، البداية والنهاية ١٣ /٦٠ .

(٢) التفسير الكبير، الرازي ٨٣/١٣ .

(٣) مسيلمة بن ثمامة بن حبيب الحنفي الوائلي ولد باليمامة، وكان يتلقب برحمان اليمامة، كان ممن وفد مع قومه على النبي صلى الله عليه وسلم في العام التاسع الهجري، وارتد بعد عودة الوفد وجعل يسجع لهم السجعات، أرسل الصديق جيشاً بقيادة خالد بن الوليد وقتل مسيلمة على يد وحشي قاتل حمزة سنة اثنتي عشرة ، ينظر : البداية والنهاية ٣٤٥/٦، الكامل ٢٦١/٢.

(٤) عبد الله بن سعد بن أبي سرح أبو يحيى القرشي العامري أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، ارتد فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ثم استأمن له

وقال غيره: بل نزل ذلك في ابن أبي سرح خاصة. ثم قال : ودخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً وقائلاً في ذلك الزمان أو غيره أوحى الله إلي وهو في قوله كاذب، فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون منزل بسبب بعضهم ،وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم ، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب . (١)

ثم أشار رحمه الله إلى تناقض أقوالهم وكيف يقول القائل منهم أوحى الله إلي ويقول : ما أنزل على بشر من شيء ،فيكذب بالذي تحققه وينفى الذي يثبته.

ففي هذه الآيات أثبت الله تعالى وجود نوع الأنبياء ابتداء ، ثم استدل بذلك على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وجاء ذلك في مواضع كثيرة ،وأمر بسؤال أهل الكتاب ؛ذلك أن العرب لا عهد لها بالنبوة من زمن إسماعيل؛ ولهذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٢) بل قد تقدم له نظراء وأمثال .

وأما من جاءهم رسول ما يعرفون قبله رسول مثل قوم نوح

= عثمان، غزا أفريقية واعتزل الفتن، توفي سنة تسع وخمسين وقيل بل في خلافة علي. ينظر طبقات ابن سعد ٤٩٦/٧، سير أعلام النبلاء ٣٣/٣، الإصابة ٣١٦/٢ .

(١) تفسير الطبري ٥٣٤/١١-٥٣٦ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٩ .

وإبراهيم فهذا بمنزلة ما يبتدئه الله من الأمور، فهذا يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر ،فلذلك يضيف الله الأمر إلى نوح وإبراهيم عليهما السلام كما في قوله:﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ** ﴾[1] الآية . وقوله: ﴿ ۞ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾[2]. وذلك أن نوحاً وإبراهيم أرسلا إلى كفار لا نبوة لهم[3] .

المبحث الرابع : عموم دعوته صلى الله عليه وسلم .

جاءت الإشارة إلى عموم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ **وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾[4]. وأم القرى هي مكة[5] ومن حولها أي أهل المشرق والمغرب بل وأهل الأرض كلها[6].

وذكرت مكة (باسمها المنبئ عن كونها أعظم القرى شأناً

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٣ .

(٣) ينظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ج١٥ص٣٠ ج٤ص٨٦، النبوات، ابن تيمية ص١٤-١٩ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ٩٢ .

(٥) ذكر العلماء أن سبب تسميتها بأم القرى أنها قبلة أهل الأرض ومحجهم ومجتمعهم ، أو لأن الأرض دحيت من تحتها، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس ،ينظر : تفسير البيضاوي ٩٦/٤ .

(٦) ينظر تفسير الطبري ٥٣٠/١١ ، تفسير البيضاوي ٩٦/٤ ، فتح القدير الشوكاني ١٣٩/٢ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢٣٣/٢ .

وقبلة لأهلها قاطبة إيذاناً بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة)[١] . وروى الطبري بسنده إلى ابن عباس قوله :يعني بأم القرى مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الأرض كلها [٢].

ومما جاء في السنة ويؤكد على ما سبق قوله صلى الله عليه وسلم: ((**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**))[٣] .

قال النووي[٤]: أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته ،وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً ،فغيرهم ممن لا كتاب له أولى [٥] .

---

(١) تفسير أبي السعود ١٦٢/٣.

(٢) تفسير الطبري ٥٣١/١١.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب وجوب رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، شرح النووي ١٨٦/٢ .

(٤) يحيى بن شرف بن حسن النووي الحازمي محيى الدين أبو زكريا الدمشقي الشافعي، كبير الفقهاء في زمانه، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، اعتنى بالتصنيف، وكان زاهداً ورعاً آمراً بالمعروف لا يضيع وقته ، توفي سنة ست وسبعين وستمائة ، ينظر : البداية والنهاية ، ١٣ /٢٩٤ ، تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤، طبقات الحفاظ ٥١٣.

(٥) شرح مسلم للنووي ،١٨٨/٢.

وعموم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مما اختص به صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث : ((**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**)) وذكر منها ((**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**)) [1].

وذكر ابن حجر عند شرحه للحديث أنه لا يعارض هذا بأن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه وقد كان مرسلاً إليهم ،وأجاب بعدة أجوبة منها :

أن العموم لم يكن في أصل بعثته وإنما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين معه المؤمنين به بعد هلاك سائر الناس ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك .

أو أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح فبعثته خاصة؛ لكونها إلى قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم، لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثاً إليهم [2].

قال : (ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته إلى يوم القيامة، ونوح وغيره بصدد أن

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التيمم (ج ٣٣٥)، الفتح ٤٣٦/١.

(٢) ينظر فتح الباري ، ابن حجر ، ٤٣٦/١ .

يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته)[١].

فعموم دعوته دليل على ختم النبوة به وإن كان ختم النبوة به قد جاء في أدلة أخرى منها قوله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[٢].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: ((**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**))[٣].

ومن العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بها، خاتم النبوة وهو بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم[٤]، وكان أهل الكتاب يسألون عنه ويطلبون الوقوف عليه .

قال العلماء في حكمة وجوده بين كتفيه أو على نصف كتفه الأيسر : هو على جهة الاعتبار أنه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه من الإيمان والأنوار وجمع له أجزاء النبوة وحواشيها ،ختم عليه كما

---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ١٨ ح ٣٥٣٥ ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين،شرح النووي ١٥ /٥١.

(٤) ينظر في صفته : بشرح مسلم ، النووي ، ٩٧/١٥، عارضة الأحوذي ١٣/ ١٠٦، فتح الباري ٥٦١/٦ .

يختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دراً ،فلم تجد نفسه ولا عدوه سبيلاً إليه من أجل ذلك الختم، لأن الشيء المختوم محروس،كما بيَّن لنا أنا إذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصم فيما بين الآدميين، فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختماً يطمئن له القلب[1].

ومعنى ختم النبوة بنبوته صلى الله عليه وسلم أنه لا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته ،وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفاً بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة [2].

وقد سُمِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسماء دلت على عموم رسالته وختم النبوة به، فمن تلك الأسماء ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لي خمسة أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد ،وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب**)) [3].

فأول الأسماء الدالة على ذلك : الماحي،وفسر بالحديث بأنه

---

(١) لوامع الأنوار، السفاريني ٢/٢٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٧ ، وينظر أصول الدين ، البغدادي ، ص ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ١٧ ، ح ٣٥٣٢ ،الفتح ٦/٥٥٤، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب أسمائه صلى الله عليه وسلم، شرح النووي ١٥/١٠٤ .

الـذي محـا الله بـه الكفـر (و لم يمـح الكفـر بأحد من الخلق كما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم ،فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايـا مـن أهـل الكتاب، وهـم ما بين : عباد أوثان ،ويهود مغضوب عـليهم ،ونصـارى ضالين ، وصائبة دهرية لا يعرفون رباً ولا معاداً ، وبـين عباد الكواكب ،وعباد النار،وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها ،فمحا الله سبحانه برسوله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين [١] .

وذكر القاضي عياض وغيره أنه يراد بالمحو: إما محو الكفر من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض، ووعد أنه يبلغه ملك أمته، أو يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٢]، أو كما ورد تفسيره في الحديث (أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه)[٣] وإذا محي الكفر به فلا يحتاج بعده إلى رسول .

كذلك من أسمائه الدالة على ختمه صلى الله عليه وسلم للنبوة: الحاشـر الـذي يحشـر الـناس عـلى عقبه وقدمه[٤] قال العلماء : معناها

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم ١ /٨٦ ،وينظر دلائل النبوة ، البيهقي ١/ ١٥١

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣ .

(٣) الشـفا ، القاضـي عيـاض ج ١ ص ٤٤٧ ، ينظر شرح مسلم ، النووي ١٥ / ١٠٥ ، فتح الباري ، ابن حجر ٦/ ٥٥٧ ، دلائل النبوة ، البيهقي ١/ ١٥٦.

(٤) صـحيح الـبخاري كـتاب المـناقب ، باب ١٧ ج ٣٥٣٢ الفتح ٦ /٥٥٤ ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه شرح النووي ١٥/ ١٠٥ .

يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي[1].

ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم :العاقب الذي ليس بعده نبي، كما جاء تفسيره في الحديث السابق فالعاقب :(هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق ،أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم) [2].

وقال البيهقي [3]: العاقب يعني الخاتم [4].

والمخالفون في هذا الباب هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مع معرفتهم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به هو الحق ولكنهم خسروا أنفسهم وأهلكوها وألقوها في نار جهنم بإنكارهم محمداً صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول وهم بحقيقة ذلك عارفون فوقعوا بما وقعوا فيه بسبب بعدهم عن الحق وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم .

وهم بفعلهم هذا كانوا أظلم الخلق؛ لذلك قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ

---

(١) الشفا القاضي عياض ، ١/ ٤٤٧ ، شرح مسلم النووي، ١٥ /١٠٥ .

(٢) زاد المعاد، ابن القيم ١/ ٨٦ .

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الخراساني، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان، له: السنن الكبير والأسماء والصفات ودلائل النبوة وشعب الإيمان وغيرها، كان فقيهاً محدثاً أصولياً زاهداً كثير العبادة توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣، البداية والنهاية ١٢/١٠٠ .

(٤) دلائل النبوة ، البيهقي ١ /١٥٤ .

﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾[١] كما فعل أهل الكتاب ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي لا يفلح القائلون على الله الباطل ،والمفترون عليه الكذب ،والجاحدون بنبوة أنبيائه [٢].

وأهل الكتاب في إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على أقسام، فمنهم من ينكر نبوته أصلاً ومنهم من يثبتها ويزعم أنه رسول إلى العرب خاصة، وأما هم فلهم شريعتهم الخاصة بهم .

وقد ذكر ابن تيمية أنه بنفي رسالته صلى الله عليه وسلم وإنكارها يلزم نفي جميع الرسالات السابقة، فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، مع التكذيب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذلك أن (الدلائل الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى عليهما السلام ، ومعجزاته أعظم وأكثر من معجزات غيره، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره، والشريعة التي جاءت بها أكمل من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ،وأمته أكمل في جميع الفضائل) [٣].

فالطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى عليهما السلام

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٢١ .

(٢) تفسير الطبري ٢٩٤/١١، فتح القدير، الشوكاني، ١٠٥/٢، نظم الدرر، البقاعي، ٦١٨/٢.

(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية ١٦٨/١، وينظر أصول الدين، البغدادي، ١٦٠ .

يعلم به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى، فحكم أحد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو أولى منه .[1]

وأما الذين يثبتون رسالته وأنها إلى العرب خاصة، فيرد عليهم بأن كل من أرسله الله لابد أن يكون صادقاً فيما يبلغه عن الله، فمقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك، والرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر أنه أرسل إلى اليهود والنصارى ؛بل إلى بني آدم كلهم عربهم وعجمهم ؛بل إلى الثقلين ، وهذا من الأمور المتواترة عنه فدعاهم وأمر بجهادهم وهذا من المعلوم بالضرورة .

فالإقرار برسالته إلى العرب ودون غيرهم مع ما ظهر من عموم دعوته للخلق قول متناقض ظاهر الفساد، فمن اعترف بأنه رسول لزمه الاعتراف بأنه رسول إلى جميع الخلق.[2]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المخلوقات وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين ، وبعد ؛ فقد كان أهم ما تضمنه البحث ما يلي :

١- أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ممن أجمع على قبوله من الأمم

---

(١) ينظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ١/١٧٥ ينظر أعلام النبوة ، الماوردي، ٧١.

(٢) ينظر : الجواب الصحيح ١/٣٧،٣٨ ، ١٦٦،١١٢ ، ينظر شرح جوهرة التوحيد ، البيجوري ،١٣٦ ، لوامع الأنوار ، السفاريني ، ٢/٢٧٩.

فلذا كثر ورود قصته في القرآن الكريم .

٢- ورد خلاف في اسم والد إبراهيم أهو آزر أم تارح ؟والراجح هو الاسم الوارد في القرآن وهو آزر .

٣- أن قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا من الوثنيين الذين يعظمون الكواكب ، فلذلك كانت مناظرته صلى الله عليه وسلم لهم في الكواكب .

٤- أن قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم عن الكواكب الثلاثة (هذا ربي) إنما هو على سبيل المناظرة ، وقاله تبكيتاً لقومه ، وهذا هو الراجح من أقوال العلماء وهو الذي دلت عليه الآيات .

٥- أن الظلم المنفي في الآيات هو الشرك ، وهذا ما جاء في الحديث .

٦- أن عدد الأنبياء لم يثبت في حديث صحيح لذا فإن الأسلم الإمساك عن تحديد عددهم ، والإيمان إجمالاً أن الله قد بعث لكل أمة من الأمم رسولا .

٧- كان من أعظم الأجر الذي أوتيه إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الدنيا أن كان الأنبياء من ذريته ، وذكر في الآيات أسماء ثمانية عشر نبيا ، قيل فيهم إنهم هم أولو العزم من الرسل ، على أن القول المشهور أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين هو الأرجح .

٨- يراد بالمسلك النوعي إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإثبات جنس النبوة وأن هناك أنبياء بعثهم الله من قبله ، ثم يكون إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ظاهرة؛ لأن ماجاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء .

٩- أن مما خص به محمد صلى الله عليه وسلم عموم دعوته للخلق كافة فلم تكن دعوته صلى الله عليه وسلم خاصة بقومه مثل الأنبياء السابقين بل هي لكل الخلق من الأنس والجن إلى قيام الساعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .